# نــزوة رجــل

# نـــزوة رجـــل

## روايـة

عبيـــر خضـــر

اسم الكاتبة: عبير خضر
اسم الكتاب: نزوة رجل
تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية
تصميم الغلاف: محمد سعد الشحات
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولى – نوفمبر ٢٠١٩ م
رقم الإيداع: 2019 / 25443

١١٤ ع جنوب الأحياء – السادس من أكتوبر
Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017

ت / ٠١٠٣٠٣٦٥٨٠١

جميع الحقوق محفوظة للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

# إهداء

غادرني الفرح برحيلك، ذهبتي وذهب كل شيء جميل، كم كنت اتمني وجودك معي الآن، ولكن.... رحمة الله عليكِ.

**( أمـي)**

منة ومريم أنتما سعادتي وأنتما فرحتي، أنتما من زرع ابتسامات الحب على شفتي، أنتما من حلّق بقلبي إلى سماء السعادة

**(بناتي)**

إلى من كشف قناع الخوف وألبسني وجه التحدي و الثبات شكرا لحبك، وحد خطوتي وسبيلي حدد هدفي ومصيري، أرشدني أين الحقيقة وكيف يكون السراب، إلى ملهمي في كتاباتي وفي حياتي: أنت عالمي الوحيد وأقرب لي من الوريد.

**(إليك )**

**شكـرا.....**

## "ملك"

ملك بنت رقيقة تبلغ من العمر أربعة عشر عامًا، في الصف الثاني من المرحلة الإعدادية، ذكية جدًّا، ومتفوقة في دراستها، لكنها منطوية بعض الشيء وذلك بسبب انفصال والدها ووالدتها بعد صراع ومشاكل أثرت على نفسيتها وعلى طريقة معاملتها للآخرين.

كان لديها أصدقاء كُثر يحبونها ويشغلون وقتا طويلًا معها، يتبادلون الزيارات المنزلية بينهم وأحيانا يتجمعون في النادي.

تتميز بخفة الدم وحلاوة الروح، غير أنها أصبحت تميل إلى العزلة، وبالفعل ابتعدت عن الجميع حين صدمت في أبيها، الأقرب إلى قلبها، أصبحت تكرس وقتها كله لمذاكرة دروسها والجلوس مع أمها حنان لتستمد منها الحب والأمان وتعوضها عن ما كسر بداخلها وترك جرحًا لا يمكن شفاؤه.

حب ملك لأمها حنان ليس مجرد حب بنتٍ لأمها فقط؛ فدائما ما كانت تراها لا تستحق كل ما مرت به من عذاب، تراها في صورة المرأة المظلومة المغلوبة على أمرها التي عانت كثيرًا مع رجل لا يقدر الحياة الزوجية ولا يتحمل أي مسؤولية ويتعامل معها وكأنها قطعة من أحد ممتلكاته يحتفظ بها لمجرد إشباع غروره، ومن الطبيعي في مجتمع شرقي أنه يجب عليها أن تتحمل وتكابد بقاءً للأسرة وعدم هدم المنزل لأن المذنب دائما وأبدًا في نظر المجتمع هي المرأة التي لا حول لها ولا قوة.

# "حنان الأم"

تعلمت حنان من أمها تقديس الحياة الزوجية، واحترام الزوج واحتواء الأسرة، فقد تربت بين الأم والأب والأخوات، وتشبعت بجرعة كبيرة من الحنان والحب، كانت شخصية هادئة مستقرة نفسيًّا تحب الحياة، كثيرة التنقل كزهرة بين الأغصان تفوح بعبيرها على كل من حولها، درست في كلية الهندسة قسم معماري، فكانت مميزة بين أصدقائها لتفوقها وحبها للتخصص الذي اختارته بإرادتها ومن خلال تواجدها وتوسع دائرة معارفها.

في الجامعة تعرفت على إيهاب الشاب المجتهد الطموح من ضمن الأصدقاء الذين كانوا مقربين إليها ونشبت بينهما قصة حب قوية نمت بالحب والتفاهم والأحلام التي كانا يرسمانها ويخططان لها لتصبح حقيقة، وبالفعل قد تزوجا، بعد التخرج مباشرة، وكان من شروط إهاب عليها أن تلتزم المنزل ليعمل هو ويجاهد حتى يوفر لها العيشة الهنيئة.

وقد تنازلت حنان عن الاستمرارية في تحقيق حلمها في أن تصبح مهندسة معمارية معروفة وناجحة، لأنَّ حبها لإيهاب جعلها تختاره وتفضله عن أي طموح لديها.

عاشت حنان فترة عشر سنوات لزوجها وابنتها ملك، ولكن هيهات فقد تحولت قصة الحب العنيفة إلى مشاجرات تحملت فيها ما لا يتحمله شخص عادي رغم أنها صدمت في الشخص الذي اختارته بقلبها وأحبته حبًّا جمًّا، ولكن كان كل ما يهم حنان تربية ملك على ما تربت عليه وتشبعت به من أسرتها، وتجعل ملك بين دفء أمها واحتواء أبيها الذي هو السند والقوة والقدوة لتكون بنتًا سوية، لا تعاني أي مرض نفسي أو خلل في شخصيتها بسبب أي مشاكل أو عقبات تراها بين أبيها وأمها.

# " الأب إيهاب "

أنيق، ذو طموح عالٍ، بدأ حياته طالبًا في كلية الهندسة وتعرف بزميلته في الجامعة، تلك الفتاة الجميلة التي أحبها بشدة، وشهد جميع زملائها وزميلاتها بحسن أخلاقها، ثم بمجرد تخرجه، ذهب إلى والدها طالبًا يدها، لتكون زوجته، وتمت خطبتهما في جو عائلي مبهج سرعان ما تحولت الخطوبة إلى عقد قران ثم زواج.

عمل مهندسًا معماريًّا بسيطًا وطمح في أن يتملك مكتبًا يعمل لديه فيه عدد من المهندسين، ويكون لديه أكبر شركة للتصميمات المعمارية، ولكن سريعًا ما صار الحال غير الحال، فقد حدث ما لا يحمد عقباه ووقع الانفصال.

***

# الحياة بعد تجربة الانفصال...

بدأ العام الدراسي الجديد، وكعادة حنان تشتري جميع احتياجات ابنتها لأن الأب قد تخلى عن جميع مسؤولياته تجاه ابنته منذ وقت الانفصال.

كانت فرحة ملك بزي المدرسة الجديد والأدوات المدرسية التي قامت باختيارها مع أمها تدخل السعادة على قلبها تعويضًا لها عن دور الأب في مثل هذا الوقت.

أخذت ملك تحتضن كل شيء يتعلق بالمدرسة ونامت في عجالة لتستيقظ وترتدي ثوبها الجديد، ثم تذهب إلى المدرسة وتلتقي أصدقاءها الذين تتشوق إلى رؤيتهم.

دقت الساعة السادسة صباحًا فنهضت ملك وبدأت في استعدادها للذهاب إلى مدرستها بمساعدة والدتها لها في تجهيز حقيبة المدرسة ووجبة الإفطار.

نزلت حنان بصحبة ملك لتوصيلها إلى المدرسة لترى الفرحة التي كانت تجتاح كل بنت في أول يوم دراسي. دخلت ملك وبدأت يومها الأول، وتركتها حنان عائدة إلى المنزل وهي تنتظر ملك لتأتي بحافلة المدرسة وتحكي لها كل ما دار في يومها كما تعودتا...

انتهت ملك من أول يوم دراسي، واتجهت إلى حافلة المدرسة لتقلها إلى منزلها، وإذا بسيارة تأتي من بعيد توقفت خلف حافلة المدرسة، ونزل من السيارة والدها وظل يتلفت يمينًا ويسارًا حتى وجد ابنته، فتقدم إليها بخطى سريعة.

إزيك وحشتيني أوي... بابا مش واحشك ولا إيه؟

نظرت إليه في تعجب وخوف في آن واحد ثم تركته مسرعة واتجهت إلى داخل المبنى الإداري؛ فهرول خلفها وحينها اصطدمت ملك بالإخصائية الاجتماعية ...

- سوري يا مُعَلمة هناء مش قصدي!
- مالك يا ملك، بتجري ليه كده فيه إيه؟

في الوقت ذاته يلاحقها والدها وينادي عليها: "إستني يا ملك ما تجريش"

وفي تلك اللحظة كانت المُعلمة هناء واقفة بجانب ملك ممسكة يدها...

تقدم إيهاب وقال:

"إيه يا ملك مش هتسلمي على بابا أنا بكلمك إزاي تسيبيني وتمشي!"

فنظرت إليه والخوف الذي بداخلها كاد ينطق...

قالت المُعلمة هناء:

هي شكلها زعلانة من حضرتك؛ حاول تقرب منها البنت خايفة...

فنظر إيهاب إلى ابنته وتقرب إليها ووضع يديه حول ذراعيها وقال لها:

"إنتي واحشاني أوي يا ملك ما تخافيش، في بنت أمورة زيك كده تخاف من بابا حبيبها"

فنظرت إليه ملك نظرة حزينة دون أن تتحدث...

فقالت المُعلمة هناء:

"أستاذ إيهاب، إحنا بعتنا كتير لحضرتك العام الماضي مع مدام حنان لكن هي اللي كانت بتيجي كل مرة وتقول إن حضرتك مش فاضي بحكم عملك..."

فرد إيهاب باستياء:

"ما حدش قالي حاجة إحنا..." وصمت!

- مدام حنان قالت لنا كل حاجة وفهمتنا الظروف بس يا ريت تحاولوا تتفاهموا علشان مصلحة البنت حضرتك عارف...

قاطعها إيهاب:

طب أنا هستأذنك آخد ملك النهارده بدل باص المدرسة.

- لأ، أنا آسفة جدا أستاذ إيهاب حضرتك مش هينفع تاخد ملك لأن كده في مسؤولية علينا كلنا في المدرسة!
- ليه هو أنا هخطفها، ده أنا أبوها!

- أستاذ إيهاب، أنا عارفة، بس حضرتك ومامتها منفصلين وفيه بينكم محاكم وقضايا، ومدام حنان مقدمة هنا في الإدارة حكم ولاية تعليمية باسمها يعني هي الوحيدة اللي ليها حق التصرف في شؤون بنتها... وكمان دي مسؤولية كبيرة ولازم حضرتك تقدر موقفي.

تعالى صوت إيهاب وأخذ يلوح بيده: "يعني إيه أنا أبوها وليا حق عليها ولو عاوز أخدها دلوقتي هاخدها"!

قاطعته المُعلمة هناء قائلة: "أستاذ إيهاب لو سمحت احنا هنا في مدرسة وما ينفعش اللي حضرتك بتعمله ده قدام بنتك، مشاكلك انت ومدام حنان يا ريت تحلوها بينكو وبين بعض لكن احنا هنا مش طرف معادي لحضرتك بالعكس احنا يهمنا نفسية البنت، ولكن تواصلنا كله حاليا مع مدام حنان ولو في أي اعتراض حضرتك عندك الإدارة"

لم يهتم إيهاب بكلام مُعلمة هناء وأظهر تجاهله لها، حينها نظرت ملك إلى والدها وقالت:

"بابا أنا مش عاوزة آجي معاك بعد إذنك"!

تركت ملك أباها واتجهت إلى الجهة الأخرى مسرعة إلى حافلة المدرسة دون النظر خلفها لتراقب ردة فعل أبيها لها!

صعدت ملك إلى حافلة المدرسة وبدأت التحرك؛ شردت ملك بخيالها وهي في حالة من الحزن والاستياء بسبب رؤية أبيها الذي غاب عنها فترة دون السؤال عنها فتذكرت ما كان يحدث من والدها إيهاب تجاه والدتها حنان عندما كان يعنفها طول الوقت لأتفه الأسباب التي كانت تمتد في بعض الأحيان إلى ضرب والدتها وسبها بأبشع الألفاظ، وللأسف لم يكتفِ بذلك ولكن ما فعله كان أكثر وأكثر؛ وكل هذا للأسف ترك بصمة حزينة داخل الطفلة التي تناست طفولتها البريئة وتعايشت مع الواقع المرير بين أم تتحمل مسؤوليتها بجميع متطلباتها وأب ملأ قلبه الجحود والكراهية وحب الانتقام ممن كانت له الزوجة والأم والأخت والحبيبة.

انتبهت ملك لنداء مشرفة الحافلة وهي تنادي: "يللا يا ملك وصلتي البيت جهزي نفسك" قامت ملك وحملت حقيبتها ومعها ذكرياتها ذات الحمل الثقيل على قلبها!

ولم يكتفِ إيهاب بحضوره المدرسة، بل سبق حافلة المدرسة وانتظر ملك أمام منزل جدتها الذي انتقلت إليه قبل عامين سابقين حيث تقيم فيه مع والدتها.

وصلت الحافلة ونزلت ملك إذ رأت أباها أمامها:

- ملك، حبيبتي، انتي عارفة ان كده ربنا زعلان منك علشان أمك بتقطع صلة رحم وانتي بتسمعي كلامها وبتبعدي عن بابا بالشكل ده؟
- بابا أحب اعرفك ماما مش ممانعة إني اشوفك أو أروحلك، بالعكس، لكن أنا اكتشفت إن وجودي معاك تاعبني ومدمر نفسيتي لإني ملقتش منك أي حب أو أمان ممكن البنت تلاقيه في أبوها اللي هو سندها وضهرها اللي بتتحامى فيه وطول الوقت بتغلط في أمي بدون أي سبب وكمان قدام مراتك وأنا مش هقبل أي كلمة عن ماما.

- ملك حبيبتي، ماما طلبت الطلاق وما بقتش تخصني لكن انتي بنتي وشايلة اسمي وتعالي ننسى اللي فات ونبدأ صفحة جديدة بس بعيد عن ماما.

تغيرت ملامح ملك بعلامات من الغضب عند سماع كلمة بعيد عن ماما:

- بابا لو سمحت ماما اللي حضرتك عاوز وبتتمنى تفصلها عني أنا جزء منها وهي حياتي كلها، من وقت انفصالكو عن بعض وانت بتحاول تبعدني عنها. وعلشان أريحك أنا من المستحيل أتخلى عن أمي وبجد كفاية اللي شافته منك. وهي ما تستحقش منك كل ده.
- يعني يا ملك ده آخر كلام عندك؟ أنا مش عاوز أخدك بالعافية وبالقانون. مستقبلك معايا مش مع ماما.

ضحكت ملك بسخرية، مستقبلي اللي هو حضرتك ناسيه بقالك سنتين ده ممكن حضرتك ما تعرفش أنا في سنة كام دلوقتي! فجأة خفت على مستقبلي كده ازاي فهمني!

– ملك، أنا سيبتك الفترة دي علشان انا عارف إنه صعب أبعدك عن ماما لأنك في الفترة دي كنتي صغيرة، لكن انتي دلوقتي كبرتي وتقدري تعرفي مصلحتك فين.

– اااه تمام يا بابا مصلحتي مع ماما ولو على فلوسك مش عوزاها وزي ما حضرتك بتقول ممكن تاخدني بالعافية بالقانون، أنا برده ممكن اطلب حقي منك وبالقانون.

– ملك، انتي ازاي بتكلمي بابا كده هو ده اللي اتعلمتيه من أمك، لا كده انتي فعلا لازم تيجي وتقعدي معايا علشان أعيد تربيتك من أول وجديد.

مشى إيهاب بعيدًا عن ملك وركب سيارته واندفع بشدة بعيدًا عنها.

اتجهت ملك إلى منزلها والبكاء يملأ وجهها الشاحب المليء بالحزن وكأنها امرأة في الستين من عمرها!

فوجئت حنان لمنظر ملك وسألتها:

- مالك حبيبتي ايه اللي حصل؟ لم تتمالك ملك نفسها وارتمت في حِضن أمها وحكت لها ما حدث بينها وبين والدها...

لم تظهر حنان كم الضعف الذي بداخلها أمام ملك ولكن لم تتمالك نفسها من البكاء لمدى الحزن الذي رأته في وجه ابنتها وكأنها تعاقب نفسها!

دخلت حنان غرفتها وتركت ملك في الخارج لكي تخفي كل علامات الشقاء والحزن الذي نُقش على وجهها البريء، وأخذت تتذكر حياتها مع الشخص الذي اختاره قلبها قبل عقلها وكرست حياتها له وتركت طموحاتها وأحلامها من أجله، أخذت تتذكر وتتعجب مما وصلوا إليه حتى وقتها هذا!

هل بعد قصة حب قوية أثمرت عن بنت جميلة جعلت الدنيا مليئة بالفرحة تنتهي بهذه القسوة! فمن الطبيعي أن تنتج خلافات بين الزوجين، ومن الذكاء احتواؤها لكي تستمر الحياة بينهما، ولكن ما فعله إيهاب بي لا يتخيله عقل!

كنت أرى فيه الزوج الصالح الذي لا يترك شيئًا من فروض الله، رأيت بعينيه الخوف عليَّ واحتوائي في أي موقف قد يؤثر في بعدي عنه، وافقت على ترك أحلامي لأتفرغ له، ثم أنجبنا ملك وكانت حياتنا طبيعية بين الحب والنزاع والشدة والأمان.

وبعد مرور عشرة أعوام من أجمل وأحلى أيام عمرنا معًا وجدت تغيرات في معاملة إيهاب لي ولكن كنت أكذب نفسي وأعطي لنفسي مبررات بأنه مضغوط في عمله وفوق عاتقه الكثير من الأعباء التي تجعله أحيانا ينفر مني ولا يطيق أن يجلس معنا في المنزل، وأخذ مع مرور الوقت يقضي وقتًا طويلًا خارج المنزل وعندما كنت أتحدث إليه معاتبة على تأخره في الخارج كنت أجد منه اللامبالاة وكأنه يعطيني

إحساسًا بأن هذا الوضع سيستمر كثيرًا، ولا بأس، فقد اعتدت هذا الوضع مع عدم علمي بسببه!

ولكن هيهات فقد كُشف السر الذي يخبئه عني طوال الوقت، والسبب في تغيره من ناحيتي.

حيث وصلت رسالة إلى محمولي من رقم غير معروف بصور تجمع بين زوجي وامرأة لم أعرفها وفي الصور اثنان يعيشان قصة حب قوية! وقتئذ أتذكر ما حدث لي فقد كنت على وشك انهيار عصبي وعدم القدرة على تحريك قدمي، ولكن تمالكت نفسي وذهبت إلى إيهاب في حجرة النوم ولم أنطق بكلمة سوى أني أعطيته الهاتف ليرى الصور التي أرسلت لي.

تغير وجهه وشحب، ولكن سرعان ما التقط أنفاسه قائلا:

- انتي عاوزة تعرفي إيه بالظبط؟

قبل ما تسأليني وتفكيرك يروح لبعيد أنا مش هقدر أخبي عنك أكتر من كده، الست اللي في الصورة دي مراتي وأنا ليا حق أتجوز مرة واتنين وتلاتة مش عيب ولا حرام.

علشان كده من غير أي مشاكل يا ريت تقبلي الوضع ده لإن دي مراتي وليها حقوق عليا زيك بالظبط.

- حقوق! وانا حقي فين؟ أنا كزوجة من حقي إني أعرف إنك متجوز عليا وليا حق الاختيار، انت كده يعتبر خنتني، لو سمحت يا إيهاب طلقني أنا مقدرش أكمل معاك بالشكل ده! استحملت كتير منك نزوات وخيانة متكررة لكن كنت بسكت وبعمل نفسي مش شايفة علشان أربي بنتي وماهدش البيت، لكن للأسف انت فهمت سكوتي غلط إني محتجالك ولازم أستحمل علشان هتبهدل من بعدك، لأ كفاية كده ما عنديش طاقة استحمل أفعالك ولا أقدر أكمل معاك وأنت معاك واحدة تانية غيري في حياتك!
- أنا ما عملتش حاجة حرام، إنتي السبب، إهمالك في نفسك وفيا خلاني أدور على واحدة تحبني وتديني اللي انتي ما قدرتيش تديهوني.

- والله! إنت كمان بتبرر غلطك وخيانتك ليا وبتجيب الغلط عليا! أنا بقى بقولك تطلقني بهدوء وكفاية لغاية كده.
- إيه! أطلقك بسهولة كده! آه، وطبعا أنا الراجل الخاين اللي الست اتظلمت معاه واتجوز عليها، لأ، برافو! أقولك أنا بقى آخر كلامي، تعيشي هنا انتي وبنتك، أهلا وسهلا، مش عاجبك مع ألف سلامة ومعاكي بنتك ومش هطلقك!
- بجد أنا مش مصدقة كلامك انت ازاي بقيت كده! هتطلقني يا إيهاب يا إما هخلعك!

لم تكمل حنان جملتها وإذا بصفعة قوية نزلت على وجهها كالصاعقة فاتجهت إلى غرفة نومها والدموع تنهمر من عينيها وأخذت في جمع أمتعتها ومعها ملك التي ظلت تلح لمعرفة سبب ترك منزلهما، ولكنَّ انهيار حنان كاد يمنعها من الكلام نهائيا.

وبالفعل انتقلت حنان بابنتها ملك إلى منزل والدتها، ووجدت نفسها بعد عمر أصبحت وحيدة ليس لديها رفيق العمر وفي الوقت نفسه جرحت وكسر ما بداخلها بسبب خيانة زوجها لها.

أفاقت حنان على نداء ملك لها:

"ماما يلا تيتة بتقولك الغدا جاهز".

جمعت حنان كل ما تبعثر منها عند تذكرها لفترات عصيبة في حياتها كانت كالسيف الذي شق قلبها نصفين.

وبعد الانتهاء من الغذاء وجدت حنان رقم إيهاب جليًّا على محمولها فترددت في الرد عليه ولكن...

تمالكت أعصابها أخيرًا وردت بصوت قوي لا يهزم:

- ألووو...
- أيوه يا حنان أرجوكي ما تقفليش الخط عاوز اتكلم معاكي ضروري.
- خير؟ اتفضل.
- طبعا انتي عرفتي إني كنت مع ملك النهارده، بنتنا حالتها النفسية مدمرة!

- إيه ده! بجد براااافو إنك استوعبت كدة بس للأسف متأخر أوي، ياما كنت بقولك في عز مشاكلنا بلاش قدام البنت، وأنت ولا همك، ضرب وسب وإهانة ليا ولا في أي تقدير لمشاعر البنت، وكتير كنت بعاتبك على معاملتك ليا قدامها واستهتارك واستهزاءك بيا لكن ما كانش فيه فايدة، بنتنا كبرت وعارفة كل حاجة من اللي شافته منك.

يا أستاذ انت حتى نسيت إن بنتك بتكبر ومحتاجاك ومحتاجة تحس معاك بالأمان!

- وإيه اللي عمل كده! احنا مش هنحاسب بعض دلوقتي بنتنا أهم...

ضحكت حنان بسخرية وقالت له:

- بنتك عندك ولو قدرت تصلح اللي كسرته جواها يبقى ربنا بيحبك، أنا عن نفسي هحاول معاها يمكن قلبها يرق من ناحيتك شوية.

أنهت حنان المكالمة ونادت ملك، ثم سألتها:

- حبيبتي ممكن اتكلم معاكي بس ما تقاطعنيش
- اتفضلي يا ماما
- حبيبتي بابا طالب يشوفك وتقعدي معاه كام يوم.

ملك، بابا ليه حق عليكي وكمان ما لكيش دعوة بأي مشاكل بيني وبينه...

فقاطعتها ملك:

- ماما لوسمحتي ما تكمليش...
- إيه يا ملك، ليه كده يا حبيبتي! ده بابا...
- لو بابا عاوزني كان فين الفترة إللي فاتت دي كلها؟ ما سألش عليا ليه لما تعبت وجريتي بيا على المستشفى كان فين!

استغربت حنان من ردة فعل ملك، حيث علامات الغضب تجتاح وجهها البريء.

لم تنتظر ملك إنهاء حديثها مع أمها واتجهت إلى الهاتف متصلة بوالدها...

- ألوو بابا
- أيوه حبيبتي وحشتيني يا ملك، كنت متأكد إنك هتكلميني...
- لو سمحت يا بابا بعد المشاكل والإهانات اللي شفتها بعيني بينك وبين ماما وأنا بقى جوايا حزن ما فيش بنت في سني تقدر تتحمله وفوق ده كله إهمالك لماما وليا أنا كمان... حتى السؤال عليا بقى كتير عليك! ممكن أسأل حضرتك سؤال؟ هو ليه دلوقتي بس بتسأل عليا؟
- وحشتيني، إنتي بنتي يا ملك...
- بابا أنا صغيرة آه لكن اللي شفته منك خلاني بقى عقلي أكبر من سني، قولي الصراحة لأني بجد مستغربة من ظهورك فجأة بس أرجع وأقولك لو راجع علشان ماما تتنازل عن القضايا اللي بينكو أو حقي واللي انت متعنت فيه ومش عاوز تصرف عليا رغم أنها بتطالب بأقل من حقي وهو نفقة ويا ريتك عاوز

تدفعها، حتى بيتنا اللي طردتنا منه وجبت عروستك قاعدة فيه! يبقى يا ريت ما تعرفنيش تاني! أنت مش واحشني! كفاية إنك حرمتني من كل إحساس ممكن البنت تستمده من أبوها، بابا أنا مش عاوزة أشوفك في حياتي...

أغلقت ملك الهاتف وهي تبكي!

غضب إيهاب غضبًا شديدًا من كلام ملك له، وتيقن أن حنان من تلقنها كل ما قالته وأنها السبب في بعد ملك عنه، وهي التي تقوم بشحنها ضده.

للأسف هذا هو تفكير بعض الرجال عندما يجدون تغيرًا في المعاملة من أبنائهم ولا يدركون أنهم السبب، لا أكثر.

غاب عن فكر إيهاب أن ملك رأت بنفسها أفعاله التي دمرت العلاقة بينه وبين أمها وحينها ذهب فكره إلى بعيد حتى تحالف معه الشيطان في الانتقام!

يتصل إيهاب بصديق له يعمل بالمحاماة ويطلب مقابلته على وجه السرعة وعندما تقابلا تحاور معه في طريقة للانتقام من حنان التي يظنها سبب إبعاد ابنته عنه، وكيف يستولي عليها وينتزعها من حضانة أمها لها، وحينها سأله المحامي عن عمرها، فأفاده بأنها ستتم الأربعة عشر عامًا عما قريب.

فأردف المحامي: حسنًا، أولا نرفع قضية إسقاط حضانة محتجين بأنها تعمل لساعات طويلة خارج المنزل مما يكون له الأثر السلبي على الاهتمام باحتياجات البنت، ولو خسرناها نرفع دعوى رؤية وعندما تتم الخمسة عشر عامًا نطلب ضمها لوالدتك.

وبدأ مشوار إيهاب في الانتقام من حنان، متناسيًا ابنته وحزنها وحالتها التي تدهورت بسببه.

وأخذ طريقه إلى مكتب المحاماة يتكرر كثيرًا حتى بدأ في اتخاذ الإجراءات...

في أحد الأيام دق جرس الباب...

فتحت ملك فإذا برجل طويل القامة يحمل أوراقًا كثيرة بيده:

- مساء الخير يا بنتي!
- مساء النور مين حضرتك؟
- أنا محضر من المحكمة ومعايا إعلان للمدعو عليها حنان محمد السيد...

توقفت ملك مكانها ولم تتحرك مع قدوم والدتها.

- مين يا ملك؟
- تعالي يا ماما.
- أيوه يا أفندم خير!
- حضرتك حنان محمد السيد؟
- أيوه.
- ممكن تمضي لي على الورقة دي؟
- إيه دي؟

- ده إعلان بميعاد جلسة باسم المدعي إيهاب سليم ضدك، ويا ريت تحضري ومعاكي المحامي.

وقَّعت حنان وأخذت الإعلان، فمضى المحضر، وأُغلق الباب.

- ماما إزاي بابا يعمل كده وإسقاط حضانة إيه اللي عامله! هو مش عاوز يسيبنا في حالنا بقى!
- سيبيني دلوقتي يا ملك!

خرجت ملك من غرفة أمها واتجهت إلى الهاتف متصلة بأبيها...

- ألو، أيوه يا بابا...
- نعم، خير!
- إيه اللي حضرتك عملته ده! وإسقاط حضانة إيه؟ مين اللي قالك إني عايزة أعيش مع حضرتك!
- أظن ده حقي ولازم تتربي مع أبوكي علشان أنا اللي هحافظ عليكي.
- على فكرة ماما ماحرمتنيش منك ولا رفضت إنك تشوفني، أنا اللي مش عايزة حضرتك! ولو فكرت تاخدني بالعافية هتبقى

أنت كده كتبت نهايتي بإيدك لإن اللي هيفرقني عن ماما الموت بس!

- افهمي يا ملك مستقبلك معايا أنا، ماما مش هتقدر على مصاريفك ولا تعليمك، حبيبتي إنتي لسه عندك كليتك وبعدها لما تقابلي شريك حياتك مين هيقعد معاه ويجهزك ويعملك أحلى فرح مش بابا؟ لكن ماما سيبيها بقى تختار حياتها، تتجوز ما تتجوزش هي حرة، أنا اللي يهمني إنتي وبس.
- أولا ماما مش هتتجوز تاني وقررت أنها تكرس حياتها كلها ليا أنا ورعاية تيتة بس، وبعدين لما أنا أهمك حارمني ليه من أقل حقوقي عندك وهي إنك تتحمل مصاريفي ومصاريف دراستي زيي زي باقي زميلاتي اللي معايا في الدراسة وزي كل أب ما بيعمل مع بنته مش ده حقي عليك برضو؟ واللا علشان اخترت ماما! ولما أنا أهمك أوي كده ما حضرتك ممكن تعمل كل اللي حكيت عنه ده وأنا عايشة مع ماما واللا هو حرام لازم تعاقبها وتحرمها من بنتها علشان يجي اليوم اللي تقول فيه أمك

رميتك ليا! ليه كل الكراهية اللي اتزرعت في قلبك ناحيتها، ده كله علشان اشترت كرامتها اللي انت دوست عليها! أظن حضرتك دلوقتي متجوز وعايش حياتك وفوق ده كله عاوز تاخدني تقعدني مع مراتك! بجد مش فهماك! تحرمني من حضن أمي وترميني مع واحدة معرفهاش ولا هتبقى أحن عليا من أمي، إنت ازاي كده! بابا ارجع لصوابك بجد انت كدة هتخسرني للأبد.

سكت إيهاب ولم ينطق بكلمة واحدة ولكن غروره سيطر على عقله إذ أغلق الهاتف في وجه ابنته!

صدمت ملك ولم تعد تسيطر على دموعها التي كادت تغرق وجهها وملابسها...

جاءت حنان ونظرت إلى ابنتها فعانقتها بشدة قائلة:

- ماما، أنا مش هبعد عنك، ما فيش حد يقدر ياخدني منك، ده انا امووت لو بابا أخدني منك!

نظرت إليها حنان نظرة حب وخوف:

- ما تخافيش يا ملك إن شاء الله خير وربنا يهدي بابا!

ولكنَّ نبرة صوتها كانت ممتلئة بالحزن!

حنان تحدث نفسها بنبرة مكسورة: "ليه ده كله، مصمم تدمر بنتك! ليه عاوزها تكرهك أكتر من كده! غرورك وحبك لنفسك نساك بنتك! حسبي الله ونعم الوكيل!"

لم يكتفِ إيهاب برفع دعوى إسقاط حضانة، لأنه على علم ويقين برفض الدعوى فأسرع برفع رؤية، وبالفعل تم رفض حكم إسقاط الحضانة لعدم إثبات أي شيء يُسقط أحقية الأم لحضانتها.

ثم بعد أسبوعين وجدت حنان إعلانًا آخر على يد محضر يخبرها بحكم الرؤية ومكانها وميعادها، فأخذت حنان الإعلان ولم تظهره لملك.

لكن الأيام قد مضت سريعًا كعادتها، ثقيلة على حنان، حتى كان يوم الجمعة لتنفيذ حكم الرؤية!

دخلت حنان على ملك صباحًا وقبلتها:

- صباح الخير حبيبتي!

- صباح الخير يا ماما!
- أحضر لك الفطار ووو...
- ماما مالك فيكي حاجة؟

سكتت حنان ثم كسر صمتها كلمات تخرج من بين شفتيها مليئة بالوجع والقهر:

- ملك، بابا كسب قضية الرؤية والمفروض نروح النهارده الساعة ٣ مركز الشباب اللي جنبنا!
- إنتي بتقولي إيه! رؤية إيه ومركز شباب إيه اللي هروح أشوف بابا فيه!
- ملك، لازم نروح.
- ليه لازم؟ أنا مش عاوزة أروح.
- حبيبتي لو ما روحتيش فيها أذى عليا انا...
- انتي بتقولي إيه! أذى عليكي انتي ليه يا ماما فهميني...
- المحامي كلمني وفهمني وقالي لو مروحتش وسجلت حضوري وانتي معايا ٣ مرات وراء بعض ممكن تسقط حضانتي ليكي

وممكن كمان يرفع عليا قضية تعويض ويكسبها، حبيبتي أنا مش عاوزة مشاكل، نروح وبعدين نشوف هنعمل إيه يمكن بابا يرجع لعقله ويعرف إنه كده بيأذيكي...

- حاضر يا ماما هسمع كلامك، علشان عاوزة أعرف بابا عاوز إيه بالظبط!

أعلنت الساعة الثانية والنصف فنزلت ملك بصحبة أمها واتجهتا إلى مركز الشباب الذي يبعد عن المنزل بشارعين لا أكثر.

دخلت حنان المكان وصدمت مما رأته، مكان لا يصلح للجلوس فيه، رأت الناس من مختلف الطبقات... فسألت عما تفعله، فردت عليها إحدى الأمهات الحاضنات اللاتي يحضرن الرؤية "اذهبي إلى المكتب ووقعي على دفتر الحضور" فعلت حنان كل الخطوات وقدمت صورة من حكم الرؤية إلى المشرف ونفذت كل الخطوات القانونية بمركز الشباب وهي لا تعلم ما هذا كله الذي وضعت فيه هي وابنتها، إذ مر من الوقت ساعة ولم يأت إيهاب؛ فبكت ملك بجانب أمها!

- إيه يا ماما اللي بيعمله فيا بابا ليه كده، هو للدرجة دي بينتقم منك ومني!

وفجأة سمعتا أصواتًا عالية وضربًا وسبًّا بالألفاظ لا يحتمل، وجدتا رجلًا يسب طليقته، ووصل بهما الأمر إلى الضرب والإهانة، بينما الطفل الذي بينهما لا يكف عن البكاء!

خافت ملك مما رأته وارتمت في حِضن أمها، وفجأة ظهر إيهاب من بين بعض الآباء وقدِمَ إلى ملك وأمسك بيديها ليأخذها إلى مكان آخر، إلا أنها جذبت يديها من يده وعادت خُطوات إلى الخلف!

- تعالي يا ملك معايا نقعد مع بعض.
- نقعد فين أنا مش ممكن أقعد في المكان ده!
- لأ هتقعدي، وخلي مامتك تقعد بعيد عننا!
- بابا، أنا مش مصدقة نفسي! أنت ليه بتعمل فينا كده! أنا هاخد ماما وأمشي، استحالة اقعد هنا ولو عاوز تشوفني ما يبقاش هنا يبقى في أي مكان تاني بعيد عن هنا.
- براحتك بس ما ترجعيش تسأليني على اللي هعمله...

أخذت ملك أمها وتركت المكان وهي تعلم جيدًا أن أباها قد بدأ معها حربًا لا ذنب لها فيها ولكن القدر اختار لها هذا الشقاء هي وأمها!

وفي خلال خروج حنان وملك من هذا المكان غير الآدمي كان إيهاب يجلس بجانب بعض الآباء ويقتبس منهم كيفية تدمير أم ابنته وبأي طريقة، لن أجعلها تنال مني جنيهًا واحدًا.

وبالفعل، فقد أصبح لدى إيهاب خبرة في جعل حنان لا تستطيع أن تهدأ من كم التهديدات وتشويه سمعتها أمام الجميع.

وكان كل هذا تراه وتعلمه ملك التي ما زالت طفلة لكنها تتحمل مسؤولية امرأة كبيرة، فأخذت تفكر فيما يفعله هذا الأب الجاحد.

وأخيرًا، أخذت قرارها الأخير وذهبت إلى أمها وقالت لها:

- ماما، أنا مش هروح المكان ده تاني ولو بابا فعلا عاوز يشوفني يكلمني، لكن الطريقة اللي بابا بيتعامل بيها معاكي كده بيضغط عليكي وبيدمر نفسيتك وبيمحي كرامتك وكرامتي أنا كمان، لو سمحتي أنا كبرت وسبيني أنا أتصرف مع بابا.
- حبيبتي يا ملك، كان بدري عليكي تشيلي الهم كده بس مش بإيدي، إنتي عارفة كويس، وانا من رأيي تقربي من بابا يمكن يغير اللي في دماغه.

- مين اللي يغير! بابا، استحالة! بابا واخدها عند معاكي وناسيني أصلا حتى وهو بيكلمني حاسة منه بجفاء ما فيش حنية ولا حب واشتياق ليَّ إني حتى أترمي في حضنه! ماما، احنا مش هنروح رؤية تاني وهنعيش حياتنا طبيعي هو مش هيسأل علينا تاني.

صممت ملك على قرارها وكان يمتلكها العند والكبرياء في الوقت ذاته وكأنها انتقلت إلى مرحلة أخرى من حياتها، ألا وهي عدم الاستسلام والضعف الذي رأته في كيان أمها؛ فقد تحولت إلى شخصية عنيدة لا تتهاون في حقها ولو من أقرب الأقربين إليها، ولو كان أباها.

مرت الأيام والشهور بسكينة وهدوء يسبق العاصفة، لا مجال للشد والجذب الذي طالما عاشت فيه بين أبيها وأمها، حتى جاء يوم فمرضت جدتها مرضًا شديدًا انتقلت على إثره إلى أحد المستشفيات فوجدت ملك والدتها بمفردها تجري بين الأطباء يمينًا ويسارًا، فكرت ملك في الاتصال بوالدها عسى أن يقف بجانبها في هذا الموقف العصيب الذي تمر به والدتها بمفردها.

- بابا، احنا في المستشفى؛ جدتي تعبانة جدا وماما مش عارفة تعمل إيه واللا إيه ممكن تيجي تقف جنب ماما في محنتنا؟
- مامتك اللي عملت في نفسها كده يا ملك، خليها بقى تعافر لوحدها.

مرت أيام قليلة حتى انتقلت الجدة إلى جوار ربها، فوجدت ملك والدتها في تلك اللحظة من أكثر لحظات الحياة صعوبة حينما وجدت الكسرة واضحة على ملامحها والدموع لا تفارقها لفراق الجدة ولا يجاور والدتها سوى بعض الأقارب الذين تربطهم بهما علاقة قرابة من بعيد، فأحست ملك بأن وجود أبيها في تلك اللحظات بجانب والدتها أمر ضروري جدًّا فاتصلت مرة أخرى بوالدها وهي تبكي...

- بابا، جدتي ماتت وماما لوحدها وده مش وقت خلافات، ده أكتر وقت ماما محتجالك فيه جنبها ممكن تيجي؟

فوجئت ملك برد والدها غير المتوقع:

- الله يرحمها سبيني بقى دلوقتي عشان عندي شغل.

وأغلق الهاتف!

ظلت ملك حزينة على والدتها وعلى موقف والدها المثير للدهشة وظلت تبكي هي الأخرى بحرقة شديدة.

***

مرت شهور على وفاة الجدة، اعتقدت ملك في خلالها أن الصراعات قد انتهت، وأنها ستكمل حياتها هانئة البال في حِضن أمها، بعيدًا عن سطوة الأب الذي يخلق المشاكل لأتفه الأسباب!

لم تدم الراحة طويلًا، فقد عصفت الرياح بالأتربة لتزيل كل ما تبقى من حب في أحشاء ملك تجاه والدها.

إعلان بإسقاط حضانة ملك مرة أخرى من أمها وانتقالها إلى أم الأب، أجل، فالأولوية للحضانة تستوجب الانتقال إلى أم الأم، غير أنه في حالة عدم وجودها، تنتقل إلى أم الأب.

قامت حنان بالاتصال هاتفيًّا بالأستاذ ماجد المحامي الذي وكلته لمباشرة القضايا والدعاوى التي يرفعها إيهاب ضدها.

- ألو، مساء الخير أستاذ ماجد أنا مدام حنان والدة ملك.
- أهلا وسهلا إزي حضرتك مدام حنان؟

- الحمد لله أنا بخير! بس حضرتك أنا جالي إعلان تاني النهارده بإسقاط حضانة ملك ومش عارفة أعمل إيه!
- طب هاتي الإعلان وتعالي المكتب الساعة ٦ مساءً وإن شاء الله يكون خير.

مرت الساعات ثقيلة حتى دنت من الخامسة فقامت حنان بارتداء ملابسها لتذهب إلى المحامي، إلا أنها وجدت ملك أمامها مرتدية ملابس الخروج هي أيضا!

- ملك، إنتي لبستي هدومك ليه يا حبيبتي؟
- أنا جاية معاكي يا ماما عند المحامي أنا مش هسيبك تروحي لوحدك.

وأصرت ملك على الذهاب مع والدتها.

❊❊❊

- مساء الخير أستاذ ماجد.
- مساء النور مدام حنان، إزيك يا ملك عاملة إيه حبيبتي وأخبارك إيه في المدرسة؟
- الحمد لله يا عمو!
- ممكن تستني ماما بره شوية يا ملك؟
- أنا آسفة يا عمو! أنا عارفة ماما جاية ليه وأنا مش صغيرة وكمان أنا جزء كبير من المشكلة اللي بين ماما وبابا دلوقتي، ده إن ماكنتش أنا أساس المشكلة!
- معلش حبيبتي اخرجي بره دلوقتي عشان أنا مش هسمح لنفسي أشركك في المشاكل اللي بيني وبين بابا.
- آسفة يا ماما أنا قولت إني سبب المشكلة اللي بين حضرتك وبين بابا دلوقتي وانا ما بقتش صغيرة.

ماجد: خلاص مدام حنان، خليها على راحتها، إديني الإعلان اللي جه لحضرتك النهارده من المحكمة.

- اتفضل.

وقدمت إليه صورة الإعلان وبعد قراءته بتمعن شديد:

- أيوه يا مدام حنان، بابا ملك طالب إسقاط الحضانة عن حضرتك وانتقال ملك لحضانة جدتها للأب نظرًا إلى إن والدة حضرتك متوفية فبالتالي تؤول الحضانة لوالدة الأب لعدم تنفيذ حكم الرؤية ٣ مرات متتالية.

إحنا دلوقتي قدامنا حل اننا نجيب شهادة مرضية لملك وهنقول إنها كانت تعبانة وملازمة الفراش طول الفترة اللي فاتت وبالتالي كده احنا عندنا عذر مقبول والدعوة هتترفض.

- بس ملك مكانتش تعبانة ولا حاجة ده هي اللي رفضت ومش عايزة تروح وبتقول أنها ممكن تقابل باباها في أي مكان تاني بعيد عن المكان ده لإنها بتعتبره فيه إهانة ليها.
- مدام حنان القانون مالوش علاقة بموافقة ملك من عدمه.
- طب أنا مش هقدر أخالف ضميري وأجيب شهادة إن ملك كانت تعبانة أو إني حتى أقول كده في المحكمة وده ما حصلش.

- يبقي القاضي هينذرك بتنفيذ الحكم ولو ما نفذتيش يبقى بباها هياخدها عن طريق إسقاط الحضانة مؤقتا لجدتها للأب.

خرجت حنان من مكتب المحامي تلملم في أشلائها التي تناثرت في أرجاء المكان خوفًا على فراق ابنتها الوحيدة بعدما وجدت نفسها على شفا حفرة من إسقاط حضانتها.

وشردت بذهنها قليلا فيما حدث وما كان يحدث من إيهاب حتى وصلت لما هي فيه الآن، ثم قالت في نفسها كم أنت قاسي القلب! هل أنت الشخص الذي اختاره قلبي يومًا وعشت معه أجمل قصة حب! كم عاندت أبي وأمي عندما رفضاك وقلت لهما لن أتزوج أحدًا غيره، فهل كل هذا ما أستحقه بعد كم الحب والإخلاص الذي أخلصته لك يا إيهاب! هل هذا جزائي بعد طيلة صبري معك وأنت في بداية حياتك، صبرت وتحملت، وفي أصعب الظروف كنت معك هل هذا ما أستحقه الآن!

فانهمرت الدموع لا تدري عن ابنتها التي كانت تراقبها عن كثب، حتى فوجئت بها بعد رجوعهما المنزل تقول لها:

- ماما، أنا مش هسيبك أبدا تحت أي ظرف من الظروف، وبابا لو عمل كده وأخدني منك غصب عني أنا هموت نفسي!
- حبيبتي، بعد الشر عليكي ما تقوليش كده ربنا يخليكي ليا.

واحتضنت حنان ابنتها في خوف مما تخبئه لهما الأيام القادمة.

***

مرت الأيام وملك منتظمة في دراستها ومتفوقة على بقية زميلاتها برغم النزاعات والاضطرابات التي تمر بها هي ووالدتها حتى جاء اليوم الموعود، فإذا بجرس الباب يدق، ففتحت حنان، إذا بإيهاب ومعه بعض الأشخاص، فكادت أن تفقد الوعي فتمالكت نفسها وصمتت!

- إيه هنقف على الباب كده كتير ولا إيه!
- خير ؟ مين دول يا أستاذ إيهاب؟

فقال إيهاب بنظرة تشفٍ:

- دول من المحكمة واحنا جينا دلوقتي عشان أنا حصلت على حكم ضدك بإسقاط الحضانة عنك لمدة ٣ شهور لوالدتي ومعانا المحامي ومعاه توكيل بالتنفيذ من والدتي جدة ملك والناس التانيين دول جايين ينفذوا الحكم. هنفضل نتكلم كده على الباب ولا إيه يا مدام حنان؟

وفي اللحظة نفسها كانت ملك في غرفتها تراجع دروسها فخرجت فور انتباهها إلى صوت والدها مدركة سبب حضوره فقالت ببكاء شديد:

لأ أنا مش هسيب ماما لأ فجذبها والدها بكل قسوة وهو يقول لها: إنتي مش عارفة مصلحتك عشان لسه صغيرة إنتي مصلحتك معايا أنا مش معاها، تعالي معايا يا بنت! وملك تصيح: لأ، مش هاجي معاك لأ ماما ماما إلحقيني يا ماما لأ مش هسيب ماما إلحقيني يا ماما!

وللحظات تسمرت حنان في مكانها حتى تفجرت الدموع المتحجرة من عينيها وظلت تصرخ هي الأخرى لأ بنتي متاخدوش مني بنتي! ملك خليكي معايا يا ملك!

وإيهاب يفرقهما بقوة بعضهم عن بعض...

ودخل بقية الأشخاص محاولين تهدئة حنان، ثم قام محامي الجدة بالتوقيع بتسلم ملك من والدتها لتنفيذ حكم الإسقاط ورحل الجميع بمن فيهم ملك التي أخذها والدها عنوة بعد منازعتها له حتى خارت قواها وأصبحت لا تستطيع الوقوف، كما صار الأمر نفسه مع أمها!

في مساء اليوم الحزين اتصلت به منهارة:

- إيهاب، أنا عايزة بنتي أبوس إيدك أنا عايزة بنتي خد مني أي حاجة وسيبلي بنتي أنا مستعدة أتنازلك عن أي حاجة في الدنيا إلا إنك تاخد بنتي مني حرام عليك إحنا ما بقاش لينا غير بعض!

فيجيبها بجحود منقطع النظير:

- إنسي يا هانم انا مش هخليكي تشوفي بنتك تاني ولو عندك كرامة مش عايز أشوف رقمك على تليفوني تاني!
- أبوس إيدك دي بنتي زي ما هي بنتك والله يا إيهاب أنا كنت بحاول أحنن قلبها عليك إنت كده بتكمل تدمير فيها حرام عليك ليه تعمل فينا كده حرام عليك!

أُغلق الهاتف في وجهها، فعاودت الاتصال مرات كثيرة دون جدوى.

❊❊❊

لم يرسل إيهاب ابنته إلى جدتها كما نَصَّ الحكم، لكن أخذها إلى منزله الذي كانوا يسكنون فيه قبل زواجه بامرأة ثانية.

جلست ملك في ركن داخل غرفتها القديمة، بعيدًا عن أعين الجميع لا تأكل ولا تشرب ولا تتحدث مع أحد وأصبحت صحتها في تراجع مستمر يومًا بعد يوم.

وبعد محاولات نوال زوجة إيهاب معها لتأكل طعامها: ملك حبيبتي، بابا بيحبك وأنا كمان بحبك وخايفين عليكي وعايزينك أحسن بنت في الدنيا كلها.

ملك صامتة لا يتحدث منها إلا الدموع التي تتساقط منها ليل نهار بعد أن تركت دروسها وصديقاتها ولم تعد تذهب إلى مدرستها التي منعها عنها إيهاب خوفًا من أن تقابل والدتها.

فحضرت حنان بعد عدة أيام إلى منزلهم القديم، ذلك المنزل الذي طالما حاولت ألا يهدم ولكن...

رن جرس الباب في موعد وجود إيهاب ففتحت نوال زوجة إيهاب الجديدة...

- مين حضرتك؟

فقالت لها حنان بصوت مخنوق يعتليه ضيق في صدرها:

أنا مامت ملك من فضلك أنا عايزة أشوف بنتي أبوس إيدك أنا عايزة بنتي! فسمع إيهاب صوتها من على الباب فهرول مسرعًا وقال لها:

إنتي إيه اللي جابك هنا إمشي مش عايز أشوف وشك خالص وإوعي تيجي هنا تاني بدل ما أسجنك وأقول إنك اتهجمتي على مراتي في بيتها!

خرجت ملك مهرولة إلى الباب حين سمعت صراخ والديها، حتى لكأن مشهد مرة انتزاعها يتكرر أمامها؛ يتهافت بعضهما إلى بعض، ينتزعها أبوها من يد أمها ضربًا فيها كما كان يفعل معها في السابق بكل قسوة، حتى سقطت ملك على الأرض مغشيًّا عليها! حملها والدها وجرى بها إلى المستشفى حيث أمره الطبيب بالخروج

خارج غرفة الكشف، ثم لاحظ الممرضة تخرج مسرعة وهي تصرخ في وجه زميلتها تطلب منها جهاز أوكسجين ومهدئًا سريعًا وبعض الحقن؛ ففهم الجميع أن حالة ملك أصبحت في خطر!

لم تتمالك حنان نفسها وظلت تبكي وتصرخ: بنتي بنتي أنا عايزة أشوف بنتي ملك ملك بنتي!

وفي الوقت ذاته إيهاب يقف بجانب زوجته نوال ولا يشغل باله غير الانتقام من حنان التي رفضت أن تكمل معه باقي حياتها بجانب زوجته الجديدة!

مرت الساعات ثقيلة على حنان في هذا الوضع وهي تبكي وتصرخ خوفًا على ابنتها ملك، إلى أن خرج الطبيب أخيرًا من الغرفة التي ترقد بها ملك وقال:

- فين والد الطفلة؟
- أنا يا دكتور والد ملك، خير ملك ما لها يا دكتور؟

- بنت حضرتك اتعرضت لصدمة عصبية شديدة وربنا يستر! إحنا عملنا الإسعافات اللازمة ولو عدت عليها ٢٤ ساعة على خير يبقى الحمد لله وبنتك انكتب لها عمر جديد.

نزلت الكلمات على سمع حنان كصاعقة من السماء فسقطت مغشيًّا عليها هي الأخرى! فقام طاقم تمريض المستشفى بإسعافها!

مرت الساعات ثقيلة وعصيبة حتى بدأت ملك تحرك أطراف يدها وهي تنادي: ماما... ماما...

فهرولت حنان إلى ملك وأمسكت بيدها:

ملك بنتي حبيبتي ألف حمد وشكر ليك يا رب! ملك حبيبتي حاسة بإيه يا قلب ماما؟

- أنا عايزاكي جنبي يا ماما ما تسبنيش أبدا!
- أنا جنبك أهو يا قلب ماما وعمري ما هسيبك أبدا! حاسة بإيه يا ملك؟
- دايخة يا ماما والدنيا بتلف بيا إوعي تسبيني تاني يا ماما!

أيقن إيهاب في تلك اللحظة أن روح ابنته ملك معلقة بوالدتها ولا تستطيع الابتعاد عنها ولو للحظات!

توالت الأيام، وأمها لا تفارقها لحظة واحدة حتى استردت ملك عافيتها وخرجت من المستشفى إلى منزل والدتها، ومرت الأيام دون أي تدخل من إيهاب في حياة ابنته، وفي الوقت ذاته، كان ممتنعًا عن تحمل نفقات ملك ما عدا فاتورة المستشفى والأدوية الخاصة بها وحدها طيلة إقامتها حتى خرجت منه، مما ألجأ حنان إلى الاتجاه مرة أخرى إلى سوق العمل لتلبي احتياجاتها واحتياجات ابنتها، وكانت ترفض أن تطالبه بنفقات ابنتها عن طريق المحاكم والقضايا مرة أخرى، فبدأت تبحث عن عمل لأنها كانت قد تركت عملها السابق عندما نُزعت منها؛ حتى وجدت فرصة عمل بمكتب تصميمات هندسية يمتلكه رجل يدعى الأستاذ جمال.

رجل في العقد الخامس من العمر متزوج من إيمان، سيدة في العقد الرابع من عمرها هادئة الطباع ولديه بنت تدعى "شيرين" وهي في نفس سن ملك وولد يدعى "عمرو" وهو يكبر شيرين بخمس

سنوات، وكانت حنان كل يوم تستيقظ مبكرًا وتقوم بإيقاظ ملك من نومها وتصطحبها معها لتستقل حافلة المدرسة من أمام المنزل حتى تعود قبل وصولها بعد اليوم الدراسي بدقائق، وكانت كثيرة الاستئذان من العمل قبل المواعيد المحددة لتنصرف من أجل ابنتها ملك، ومع مرور الوقت في العمل بمكتب الأستاذ جمال تجاذب الحديث معها من حين إلى آخر لمعرفة سبب تركها العمل قبل انتهاء المواعيد المحددة فقصت حنان عليه جزءًا من قصة ابنتها، وكيف أنه لا أحد بجانب ملك غيرها، وبعد والدها عنها، حيث تجاهد في الوصول إلى المنزل قبلها لاستقبالها وتحضير وجبة الغداء لها ومراجعة الدروس اليومية معها؛ فدعاها إلى منزله بصحبة ابنتها لتناول وجبة غداء مع زوجته وأبنائه والتعرف عليهم نظرًا إلى الظروف المحيطة بها وبابنتها، فاستجابت حنان من فورها لتلك الدعوة لأنها كانت بالنسبة إليها فرصة عظيمة لتتعرف على صديقة جديدة تخرج بها مما وُضعت فيه هي وابنتها، وحتى يذهب عنها الإحساس بالوحدة.

في اليوم المحدد للدعوة على الغداء اصطحبت حنان ابنتها وأحضرت باقة ورد وتوجهتا إلى منزل الأستاذ جمال فوجدتا ترحيبًا شديدًا من زوجته إيمان وولديها، فتعارفوا وتسامروا وتبادلوا الأحاديث حتى انتهت الزيارة على وعد بلقاءات أخرى، أشعرت حنان بسعادة عارمة بصديقتها الجديدة.

فضلا عن إثباتها لذاتها في عملها الجديد وتفوقها فيه برغم انصرافها من العمل كل يوم قبل الميعاد، الشعور نفسه كان لدى ملك بأصدقائها الجدد شيرين وعمرو، حيث قضت معهما وقتًا ممتعًا وتبادلا الزيارات حتى أصبحوا كعائلة واحدة، ومرت الأيام والسنوات وهم على علاقة طيبة بعضهم ببعض؛ يتبادلون الزيارات، حتى أتمت ملك دراستها بالشهادة الإعدادية ثم بعدها أتمت الشهادة الثانوية التي تفوقت بها.

حينها تزوجت شيرين في ذلك الوقت وسافرت مع زوجها إلى إحدى الدول العربية، ثم التحقت ملك بكلية الحقوق، وصادف أنها الكلية نفسها التي التحق بها عمرو، فكانا يتقابلان بشكل شبه يومي

يحضران محاضراتهما معًا حتى نشأت بينهما علاقة حب قوية، في الوقت نفسه كان الخوف يسكنها من تلك العلاقة خشية أن تنتهي كما انتهت العلاقة بين والديها!

كانت والدتها على علم بقصة الحب التي نشأت بينهما، فقد كانت تصارحها بأدق تفاصيلها، وتكاد لا تخطو خطوة واحدة إلا وعند والدتها علم بها.

كذلك عمرو، فقد كان يصارح والدته هو الآخر بقصة حبه لملك، ثم مرت السنوات حتى تخرجا في الجامعة وأعلنا خطبتهما في حفل بهيج حضره جميع الأهل والأصدقاء إلا والدها إيهاب الذي رفض الحضور بشدة لا لشيء إلا الجحود.

عندما اتصلت به ابنته وأخبرته بأن عَمْرًا يريد الجلوس معه لطلب يدها منه، وطلبت منه الحضور رفض وأصر، مما كان له عظيم الأثر على شعورها!

التحقت ملك وعمرو فيما بعد بمكتب محاماة للتدريب على ممارسة تلك المهنة التي تدافع عن الحق وتظهره أمام العدالة.

- ماما أنا خايفة أوي!
- من إيه يا ملك؟
- خايفة تنتهي حياتي في يوم مع عمرو زي ما حصل بينك وبين بابا!
- ليه يا حبيبتي بتقولي كده! عمرو شاب كويس وخلوق ووسيم وبيحبك وهيحافظ عليكي.
- طب ما هو بابا كمان كان بيحبك بردو يا ماما ما حافظش عليكي ليه؟
- كل شيء قسمة ونصيب يا ملك، حبيبتي ما تبقيش متشائمة كده مش شرط إن علاقتي بباباكي حصل فيها خلافات وفشلت يبقى علاقتك بحبيبك عمرو تفشل هي كمان وأنا عارفة إنتو بتحبه بعض قد إيه طب ما عندك بابا عمرو ومامته شوفي متجوزين بقالهم قد إيه وبيحبوا بعض وعمرنا ما شوفنا أي مشكلة حصلت بينهم وحياتهم مستقرة الحمد لله.

- مش عارفة يا ماما بس خايفة يحصلي زي ما حصل معاكي إنتي وبابا!
- ما تفكريش بالشكل ده يا ملك، وتفاءلي دايما بالخير يا حبيبتي عشان ربنا بيحب المتفائلين وبيوفقهم في حياتهم عشان كده بقولك إتفاءلي خير يا حبيبتي!

***

مرت خمس سنوات على عمل ملك وعمرو في مكتب المحاماة وتدربا بنجاح وتعلما كيف يدافعان عن المظلوم وكيف يقومان بإظهار الحقائق أمام المحكمة ليعم العدل بين الناس.

بدأ كلٌّ منهما حياته العملية، ثم تزوجا وصار لهما مكتبهما الخاص، وأصبحت ملك صاحبة خبرة كبيرة في هذا المجال، وكان الزوجان يتعاونان في عملهما، وكانت حياتهما سعيدة ومستقرة ولا يوجد ما يعكر صفو حياتهما.

وفي أحد الأيام رن هاتف ملك المحمول؛ فالتقطته في سعادة بالغة: إيه ده بابا! معقولة بابا بيتصل بيا بعد كل الغيبة دي أكيد قلبه حن ليا تاني يا حبيبي يا بابا!

وكأنه قد مُحي من ذاكرتها كل ما قد رأته من الأذى الذي قاسته هي وأمها بسببه!

- ألو أيوه يا بابا واحشني جدا جدا جدا عامل إيه يا حبيبي؟

- إلحقيني يا ملك إلحقيني يابنتي أنا في مصيبة وما ليش حد غيرك أستغيث بيه يا بنتي!
- خير يا بابا حصل إيه؟
- نوال مراتي اتقتلت في البيت، ومتهمني بقتلها إلحقيني يا بنتي إلحقيني يا ملك أنا هروح في داهية ظلم!
- حبيبي إيه إللي حصل طب اهدا وقولي انت فين؟
- أنا مقبوض عليا في قسم الشرطة يا ملك بتهمة قتل نوال وأنا مظلوم ما قتلتهاش!
- طب اهدا بس يا بابا وأنا جيالك حالا!

نزلت ملك مهرولة إلى قسم الشرطة التابع إلى سكن والدها وزوجته الثانية؛ فوجدت والدها في حالة يُرثى لها!

- بابا حبيبي!

فاحتضنته حِضنًا أبويًّا تفتقره منذ سنوات طويلة منذ أن كانت طفلة في عمر الزهور، فأخذت تبكي وتبكي لما آلت إليه تلك الحال!

- مالك يا بابا مالك يا حبيبي، إيه اللي حصلك ومين اللي قتل طنط نوال إحكيلي يا بابا إيه اللي حصل؟
- كان فيه خلافات طول السنين اللي فاتت يا ملك بيني وبين نوال بس كانت مجرد خلافات بسيطة زي اللي بتحصل في أي بيت بين زوجين بس أنا ما كنتش بقولك يا حبيبتي وكنت متابعك ومتابع كل أخبارك من بعيد كنت خايف أكلمك أو أحكيلك علشان كنت خايف تقولي لمامتك وتشمت فيا علشان كده ما كنتش بكلمك طول الفترة اللي فاتت علشان ما تحسيش إني تعيس في حياتي مع نوال، والنهارده الصبح حصلت مشكلة بينا وكانت مشكلة كبيرة أوي يا ملك لدرجة إني مسكت السكينة اللي في المطبخ وهددتها إني هقتلها لإني زهقت من المشاكل اللي بينا كل يوم وكل ساعة ومش بتخلص لكن والله يا ملك والله يابنتي أنا رميت السكينة في الأرض وما عملتش بيها أي حاجة وخرجت، ولما رجعت لاقيتها مقتولة وغرقانة في دمها بنفس

السكينة اللي كنت بهددها بيها بس والله ما قتلتها والله ما أنا يا بنتي ولا أعرف مين اللي عمل كده!

- اهدا يا بابا، كل حاجة وليها حل، أنا هصور المحضر، وأعرف إيه اللي حصل، ومش هسيبك!

وإذا بصوت الضابط ينادي من على بعد أمتار:

"انتهت الزيارة رجع المتهم لمحبسه".

- ما تخافش يا بابا أنا مش هسيبك يا حبيبي وهفضل جنبك مش هسيبك أبدا!

اصطحب الحارس إيهاب إلى محبسه، فأمسكت ملك هاتفها لتتصل بزوجها...

ملك بانزعاج شديد أخفته عن والدها:

- عمرو إلحقني مرات بابا اتقتلت ومتهمين بابا بقتلها!
- بتقولي إيه يا ملك إزاي حصل الكلام ده وانتي فين دلوقتي؟
- أنا في القسم وما لحقتش أكلمك قبل ما أنزل، أنا متلخبطة ومش عارفة أعمل إيه يا عمرو تعالى أرجوك!

- طب إهدي يا ملك وخليكي عندك ما تتحركيش أنا جايلك حالا!

وصل عمرو إلى قسم الشرطة لمقابلة ضابط المباحث، فيروي لهما تفاصيل ما حدث:

- إحنا جالنا استغاثة عن طريق بلاغ للنجدة من أحد الجيران محتواه إن إيهاب المتهم قتل زوجته نوال بسكين المطبخ، وعندما توجهنا إلى مكان الحادث وجدنا إيهاب في حالة هيستيرية وبيقول مش أنا! مش أنا اللي قتلتها لكن جميع الشهود في مكان الحادث من الجيران أكدوا بإن إيهاب هو القاتل فعلا لأنه كان دائم الخلافات مع زوجته وقام بتهديها بالقتل في نفس اليوم بصوت عالي لدرجة إن الجيران كلهم سمعوه وكانوا سامعين زوجته وهي بتزعق معاه، وخرج بعدها ورجع تاني بعد حوالي ساعتين والناس لقوه بيصرخ ويقول نوال اتقتلت والكل شهد إن هو اللي قتل زوجته خاصة إن دي مش المرة الأولى يحصل فيها تناحر بينه وبين القتيلة وإنهم دايما بيتشاحنوا مع بعض

والمرة دي نفذ تهديده لها وقتلها بالفعل وده نتيجة معاينة مكان الحادث وشهادة الشهود من جيرانه.

- بابا ما قتلهاش بابا بريء!
- النيابة العامة أرسلت السكين المستخدم في الحادث للمعمل الجنائي لرفع البصمات الموجودة على السكين والبصمة هي اللي هتحدد إن كان له علاقة بقتلها واللا لأ.

غادرت ملك وزوجها عمرو مكتب ضابط الشرطة متجهينِ إلى والدتها لتروي لها ما حدث.

وفي الطريق تبكي بحرقة:

- بابا ما قتلش يا عمرو، بابا عمره ما يقتل!
- إهدي يا ملك، إنتي طبعا فاهمة القانون كويس وإحنا ما فيش في ادينا نعمل أي حاجة قبل ما تيجي نتيجة تقرير المعمل الجنائي ويقول البصمة تخص باباكي ولا لأ لكن قبل كده مش هنقدر نعمل أي حاجة!

وسرعان ما وصلا إلى منزل حنان:

- إلحقيني يا ماما!
- مالك يا ملك في إيه اللي حصل وبتبكي ليه كده في إيه يا عمرو؟

وروت لها ملك تفاصيل كل ما حدث لوالدها!

صدمت حنان مما روته لها ابنتها وما وصل إليه الحال بطليقها!

لازم نقف مع باباكي يا ملك في محنته هو دلوقتي مالوش أي حد غيرك وأنا كمان هكون جنبه في محنته لغاية ما يخرج منها بالسلامة ده مهما كان باباكي يا بنتي!

- حبيبتي يا ماما كنت متأكدة إنك هتقولي كده!

وفي صباح اليوم التالي جهزت حنان وجبة غداء وذهبت إلى إيهاب في زيارة له في محبسه...

- إزيك يا إيهاب؟ إن شاء الله خير! وأنا وبنتك مش هنسيبك لغاية ما تخرج بالسلامة طالما بريء من التهمة دي ربنا هيظهر الحق.

نظر إيهاب إلى الأرض خجلًا من حنان وما فعله معها قائلا:

- سامحيني يا حنان أنا قسيت عليكي وعلى بنتنا وربنا بياخدلك حقك وحقها مني، أنا ظلمتكم انتو الاتنين!
- ما تقولش الكلام ده يا إيهاب أنا سامحتك من زمان إنت بردو أبو بنتي وأنا مستحيل أشمت في أي حد وأولهم إنت على الأقل

عشان بنتي، أنت أبوها، هي شايلة اسمك وانت هتفضل طول عمرك أبو ملك.

في تلك اللحظة أحس إيهاب بتأنيب ضمير فظيع مما فعله بهما في الماضي ولم يتفوه بكلمة واحدة حتى انتهت زيارتها له.

ومرت الأيام سريعًا، كل يوم تأتي إليه ملك تجلس معه ساعة، تتحدث معه فيها عن ظروف وملابسات ما حدث ثم تنصرف، حتى جاء تقرير المعمل الجنائي ليثبت الآتي:

(أن البصمة الموجودة على السكين المستخدم في الجريمة هي نفسها بصمة إيهاب)

كانت تلك هي الصدمة التي ألجمت الجميع، ولكن فوجئوا جميعًا معًا بحنان تقول: لأ إيهاب عمره ما يقتل أنا عارفاه كويس هو ممكن يأذي أي حد لكن مش ممكن يقتل!

تمالكت ملك نفسها من أن تظهر انهيارها أمام والدتها وقالت: أنا هتصرف يا ماما ما تقلقيش خالص!

وفي اليوم التالي ذهبت ملك إلى والدها في محبسه وطلبت مقابلته وعندما حضر...

- أنا متأكدة يا بابا إنك ما تقتلش.
- مش أنا يا ملك والله يا بنتي مش أنا!
- ممكن يا بابا تحكيلي عن تفاصيل حياتكو مع بعض إنت وطنط نوال؟

ظل إيهاب يحكي لملك عن تفاصيل حياته البائسة مع نوال ولاحظت التغيير وازدياد الخلافات التي ظهرت من نوال تجاه والدها بشكل كبير ومبالغ فيه في السنة الأخيرة فقط.

فأيقنت ملك بأن شيئًا حدث في تلك الفترة غاب عن والدها وهو الحلقة المفقودة فسألته عن السبب فأكد لها أنه لا يعلم لماذا تغيرت نوال معه في تلك الفترة بالذات... وطلبت ملك مفتاح الشقة التي كان يقطن فيها مع ونوال، وبالفعل استجاب إيهاب لطلبها وأعطى لها كل المفاتيح التي معه لمنزله ومكتبه فخرجت ملك مسرعة إلى شقة والدها ثم توجهت إلى غرفة نوم نوال وظلت تعبث بمحتوياتها لعلها تجد أي

دليل يرشدها إلى القاتل الحقيقي فلم تجد، وبحثت في معظم الشقة فلم تعثر على خيط جديد، فغادرت شاردة الذهن وقامت بزيارة والدها عدة مرات تحاوره فلم تخرج منه بأي معلومة جديدة بخلاف ما ذكره لها والدها قبل ذلك.

مرت الأيام والتحقيقات وجميع الأدلة تشير بأصابع الاتهام إلى إيهاب، حتى تم تحديد أولى جلسات محاكمة إيهاب بتهمة القتل العمد مع سبق الإصرار والترصد لزوجته نوال، واتفقت ملك مع والدها وزوجها أنها هي التي ستتولى الدفاع عن والدها أمام هيئة المحكمة.

وجاء يوم المحاكمة فحضر كلٌّ من حنان وملك وعمرو، فحاولت بكل ما أوتيت من قوة وخبرة الدفاع عن والدها ومواجهة شهود الإثبات وطعنت في شهادتهم مستندة في دفاعها إلى أن الشهود لم يشاهدوا واقعة القتل رؤية العين وأن شهادتهم لا يعتد بها نظرًا إلى أنها مبنية على السمع فقط وهو الأمر الذي لا يجوز قانونًا إذ يشترط القانون على الشاهد رؤية ارتكاب الجريمة رؤية العين ولا يجوز الأخذ بالسمع فقط وتوالت الجلسات جلسة تلو الأخرى وهي تدافع باستماتة عن

والدها لتبرئته أمام المحكمة من تهمة القتل، حتى كانت في زيارة له ذات مرة فقال:

- دوري يا ملك على أي دليل أخرج بيه من هنا!
- دورت يا بابا في كل أرجاء المنزل وما لقتش أي شيء يدل على اللي عمل ده! وظلت تحدثه حتى تذكرت السندرة القديمة!

نعم تلك السندرة القديمة التي كانت في المنزل وكانت تحتفظ ملك فيها بألعابها القديمة عندما كانت صغيرة، وهو المكان الوحيد الذي لم تبحث داخله فهل ما زالت قائمة؟

لم تتردد ملك كثيرًا وذهبت إلى منزل والدها مرة أخرى، وجدتها كما هي فأحضرت سلمًا صغيرًا من شرفة المطبخ وصعدت به إلى تلك السندرة.

ظلت تعبث بمحتوياتها حتى وجدت فيها شيئًا غريبًا (صندوقًا حديديًّا) صغيرًا مغلقًا بقفل حديدي أيضًا، ولم تجد له مفتاحًا؛ فأخذته معها إلى منزلها.

وفي اليوم التالي طلبت من النيابة إذنًا لمقابلة والدها باعتبارها الموكلة للدفاع عنه، وعندما حضر إيهاب من محبسه:

- إزيك يا بابا عامل إيه يا حبيبي؟
- الحمد لله يا ملك ازيك انتي يا حبيبتي؟
- الحمد لله يا بابا.
- ملك أنا عارف يا بنتي إني ظلمتك إنتي وماما وربنا بياخدلكو حقكو مني!
- ما تقولش كده يا بابا وإن شاء الله ربنا هيقف جنبنا، بس أنا عايزة أسأل حضرتك على حاجة، أنا روحت الشقة تاني وطلعت السندرة القديمة لاقيت فيها صندوق حديد بقفل، الصندوق ده فيه إيه يا بابا وفين مفتاحه؟
- صندوق إيه يا ملك أنا معرفش حاجة عن الصندوق ده وكمان السندرة دي قديمة أوي من زمان وما حدش بيطلع عندها من زمان!
- إزاي الكلام ده يا بابا الصندوق ده مش باين إنه قديم!

- فيه إيه الصندوق ده يا ملك وإيه اللي جابه السندرة!
- معرفش يا بابا أنا جيت أسألك عليه افتكرتك شايل فيه حاجة تخص حضرتك عشان كده ما رضتش أفتحه قبل ما أسألك الأول.
- لأ أنا ما عنديش أي فكرة عن الصندوق ده خالص يا ملك.

أيقنت ملك في تلك اللحظة أن في الأمر شيئًا غريبًا، وبدأت أفكار وتخيلات تتردد على عقلها، من الذي أحضر الصندوق وأغلقه بهذا الشكل وخبأه في مكان قديم كهذا حتى يكون بعيدًا عن الأعين! وعلام يحتوي الصندوق!

- أنا حاسة إن الصندوق ده فيه حاجة مش طبيعية يا بابا عموما أنا جيت أسال حضرتك عنه قبل ما أفتحه عشان قولت ممكن يكون فيه حاجة تخص حضرتك وما ينفعش أشوفه.
- افتحيه يا بنتي وشوفي فيه إيه!

أيقنت ملك بأن شيئًا ذا قيمة داخل هذا الصندوق! انتهت زيارة إيهاب وانطلقت مسرعة إلى المنزل واتجهت مهرولة إلى الصندوق فأخذته وأسرعت به إلى عامل المفاتيح لفتحه، فقام العامل بفتح القفل ورجعت به إلى المنزل وعندما قامت بفتحه وجدت داخله المفاجأة!

مجموعة صور للقتيلة مع شخص آخر لا تعرفه ويتضح من تلك الصور وجود علاقة واضحة المعالم تجمع بين نوال والشخص الآخر الذي يظهر معها بهذه الصور، وتحتها وجدت شريحة بيانات.

(ذاكرة تخزين) خاصة بهاتف محمول، قامت بتركيب تلك الشريحة فوجدت عليها ملفات صوت، والمفاجأة الثانية التي أذهلتها أنه صوت نوال وهي تتحدث مع شخص يدعى كريم:

- صباح الخير يا كريم أنا عايزة أشوفك لازم نتقابل ضروري انت وحشتني جدا!
- نوال أنا مش هقدر أخدع مراتي أكتر من كده!
- يعني إيه الكلام ده يا كريم؟

- يعني لازم ننهي علاقتنا فورًا وكفاية أوي لحد كده يا نوال أنا ممكن بيتي يتخرب بسبب علاقتي بيكي!
- يعني انت فكرت في نفسك وما فكرتش فيا أنا!
- أنا فكرت فيا وفيكي يا نوال، اللي إنتي بتطلبيه مني ده جنان! يعني إيه عايزاني أقتل جوزك وليه تفكري في كده مش كفاية إنك بتخونيه وكمان عايزة تقتليه إنتي مش طبيعية يا نوال إحنا لازم نبعد عن بعض وتنتهي علاقتنا على كده!
- أنا بحبك يا كريم ومش قادرة خلاص أبعد عنك وإيهاب أنا ما كنتش بحبه من الأول وقولتلك الكلام ده قبل كده أنا وافقت عليه برغم إنه كان متجوز ومعاه بنت علشان فلوسه، مش علشان بحبه وأنا شرحتلك قبل كده الموضوع جه إزاي كريم أنا ما بقتش قادرة أعيش مع إيهاب أكتر من كده ولو طلبت منه الطلاق مش هعرف آخد منه أي حاجة وهيجبرني أتنازله عن كل حقوقي خاصة إني ما عنديش أولاد منه ومش معقولة بعد ما عشت معاه كل ده أطلع منه ببلاش كده من غير أي حاجة أنا

فكرت كتير في الموضوع ده إحنا هنقتله ونكمل حياتنا مع بعض أنا مقدرش أعيش من غيرك!

- إبعدي عني يا مدام نوال لو سمحتي أنا مش هكمل معاكي وكفاية أوي لحد كده!
- دلوقتي بتقولي مدام نوال! عموما أنا هسيبك يومين وهكلمك تاني تكون فكرت كويس، بس فكر كويس عشان العواقب في حالة رفضك مش هتكون كويسة خالص علينا إحنا الاتنين.
- يعني هتعملي إيه يعني؟
- هفضحك قدام أهلك ومراتك وعليا وعلى أعدائي!
- إنتى بتهددينى؟ دلوقتي بتعملي كده، عايزة تفضحي نفسك وتخربي بيتي!
- إحسبها زي ما أنت عايز.

وانتهى محتوى المكالمة الأولى.

في المكالمة التالية...

- إزيك يا كريم أخبارك إيه؟

- الحمد لله يا مدام نوال.
- بردو مدام! تمام فكرت وأخدت قرارك ولا لسه يا أستاذ كريم؟
- يا مدام نوال أنا قولت رأيي من آخر مكالمة مع حضرتك ولو سمحتي ما تتصليش بيا تاني.
- طب إسمع بقي يا أستاذ لو حضرتك حاولت تبعد عني وما نفذتش اللي بقوله هضطر أبعت صورك كلها معايا بعد ما أمسح صورتي منها لمراتك وساعتها بيتك هيخرب فعلا إعقل كده وبلاش عند علشان ما تخسرش بيتك!
- إنتي إيه شيطانة؟ طب لو عملتي كده يا نوال أنا هقتلك سامعة هقتلك!
- مش هتقدر ده أنت خايف تقتل إيهاب يبقي هتقتلني أنا!

انتهت المكالمة بعدما أغلق كريم الهاتف في وجه نوال.

أخذت ملك كل ما تحصلت عليه وأسرعت في طلب مقابلة وكيل النيابة وعندما دخلت:

- خير يا أستاذة؟

- أنا يا أفندم تحصلت على أدلة براءة والدي من تهمة القتل.
- وإيه هي أدلة البراءة اللي تحصلتي عليها؟

فقامت ملك بعرض الصور والمكالمات المسجلة بين نوال وكريم فتم استدعاء إيهاب من محبسه فوجد ملك مع عضو النيابة:

- إزيك يا ملك، إزيك يابنتي؟
- إزيك يا بابا إن شاء الله هتطلع خلاص أنا عرفت مين اللي قتل نوال.
- تعرف حد اسمه كريم؟
- كريم مين يا أفندم أنا أعرف أكتر من شخص اسمه كريم!

فقام وكيل النيابة بعرض الصور التي توصلت إليها ملك على إيهاب للتعرف على ذلك الشخص...

- ده كريم جارنا اللي ساكن في نفس العمارة في الدور الخامس، وإيه اللي جاب صورته مع نوال أنا أول مرة أشوف الصور دي إيه اللي جمع بينه وبين مراتي في إيه بينهم في إيه يا ملك!

وكيل النيابة بعدما أخذ كل بيانات المدعو كريم...

ناديلي الحارس، ليعود به إلى محبسه.

وأصدر وكيل النيابة أمر ضبط وإحضار للمدعو كريم بموجب الأدلة التي قدمتها ملك وبياناته التي أدلى بها إيهاب.

***

- فين المدعو كريم؟
- فيه إيه إنتو عايزين كريم جوزي ليه، إيه اللي حصل هو عمل إيه!
- عندي أمر بضبطه وإحضاره، فين هو؟
- نزل من شوية ومعرفش مكانه!
- أول ما يجي أو يتصل بلغيه يسلم نفسه.

فقامت أمل على الفور بمهاتفة زوجها:

- كريم إلحقني انت فين؟
- خير في إيه؟
- الشرطة كانت هنا دلوقتي وبيسألوا عنك إنت عملت إيه يا كريم؟
- أنا ما عملتش حاجة، طب أنا هبعتلك صديقي حسام إنتي عارفاه إديله شنطة هدومي دلوقتي عشان هغيب شوية بره البيت على ما أعرف فيه إيه بالظبط.

فقام كريم بإرسال صديقه حسام إلى منزله لكي يحضر له أغراضه بعدما حكى له ما حدث في منزله وأنه لا يستطيع العودة الآن فذهب صديقه بالفعل وأحضر أغراضه وعندما عاد إليه هاجمتهما الشرطة بعدما قام أحد أفرادها السريين بمراقبة صديقه حتى رجع إليه واصطحبوا كريم معهم إلى قسم الشرطة ومنه إلى النيابة العامة.

❊❊❊

- اسمك وسنك وعنوانك؟
- أنا إيه تهمتي؟
- جاوب على قد السؤال، اسمك وسنك وعنوانك؟
- كريم عبد الله الشيخ، ٤٥ سنة، مقيم في شارع الملكة الدور الخامس بدائرة القسم
- إيه علاقتك بالمجني عليها نوال محمد المقتولة والمقيمة في العقار اللي ساكن فيه؟
- مدام نوال مجرد جارة مش أكتر من كده وبينها وبين زوجتي كل خير.
- أنت متهم بقتل المجني عليها نوال، فما أقوالك؟
- ما حصلش، اللي قتل مدام نوال هو زوجها الأستاذ إيهاب، وكل الشهود قالوا كده!
- طب تقول إيه على الصور دي؟

وعرض عليه وكيل النيابة الصور التي تجمعهما...

- ما حصلش الصور دي متركبة أكيد الأستاذ إيهاب المتهم هو اللي قام بتزوير الصور دي عشان يتهمني أنا بقتلها...
- طب إيه رأيك في المكالمات اللي دارت بينك وبين مدام نوال وبتهددها بالقتل؟ وقام وكيل النيابة بتشغيل المكالمات التي بينه وبين نوال...
- ده مش صوتي والصور دي متركبة.
- يعنى بتطعن على الصور والمكالمات بالتزوير؟
- أيوه يا أفندم ده مش صوتي والصور متركبة.
- نأمر نحن وكيل النيابة بإحالة الصور والمكالمات المعروضة أمامنا إلى معمل التزييف والتزوير للتأكد من صحتها من عدمها مع حبس المدعو كريم عبد الله الشيخ أربعة أيام ويراعى التجديد له في الميعاد.
- أنا بريء أنا ما قتلتش حد.

اصطحب الحارس كريم إلى محبسه بعيدًا عن إيهاب حتى لا يتعدى أحدهم على الآخر.

ثم مرت الأيام حتى جاء التقرير كالآتي:

(الصور التي قدمتها ملك سليمة ولا يوجد بها أي تلاعب وأيضا الصوت مطابق بنسبة ١٠٠٪ لصوت كريم)

إذن من الذي قتل نوال بعدما أصبح يوجد متهمان بقتلها وتوجد أيضا أدلة وبراهين لدوافع القتل!

تم استدعاء كريم من محبسه مرة أخرى لمواجهته بتقرير التزييف والتزوير الذي جاء مطابقًا للأدلة ولا يوجد به تلاعب.

- إيه أقوالك بعد ما تم التأكد من صحة المستندات المقدمة.
- أنا هقول لحضرتك الموضوع بالتفصيل...

أنا تزوجت منذ ٢٠ عامًا من زوجتي أمل التي أكن لها كل الحب، ثم استمرت حياتنا دون مشاكل تعكر صفونا، وأنجبنا طفلًا وهو كل حياتي.

تعرفت على نوال عن طريق زوجتي التي تعرفت عليها بحكم الجيرة.

كنت بلاحظ نظرات غريبة من نوال ليا وكان الشيطان يتلاعب بعقلي حتى تقابلنا خارج المنزل ونشأت علاقة بيننا وبعدها كشفت نوال عن وجهها القبيح أمامي؛ لقيتها شيطان على هيئة إنسان حتى تطورت العلاقة بيننا سريعًا وخانت زوجها إيهاب معي كثيرًا وكانت بتتكلم عنه كتير قدامي إنها مش بتحبه وإنها اتجوزته برغم إنه كان متزوج ومعاه طفلة عشان فلوسه بس ومع الوقت بقت عايزة تتخلص من إيهاب وتقتله وعندما صرحت لي عما بداخلها رفضت بشدة، فبدأت في تهديدي بأنها ستقوم بفضح علاقتي بها أمام زوجتي، فقمت بتهديدها أكتر من مرة بإني هقتلها لو حاولت تنفذ تهديدها لي بس ما قتلتهاش والله العظيم ما قتلتها.

انتهت أقوال كريم وأصر على براءته.

وتم استدعاء إيهاب أيضا من محبسه وأصر على أقواله الأولى نفسها وعلى براءته من قتلها، إذن فمن الذي قتلها!

أمر وكيل النيابة العامة بتكثيف جهود رجال المباحث لكشف الحقيقة، وتجديد حبس المتهمين على ذمة التحقيق.

اتجهت قوة من رجال البحث الجنائي إلى موقع الحادث وقاموا باستجواب الشهود مرة أخرى ثم قاموا بتفريغ الكاميرات المحيطة بموقع الحادث حتى كانت المفاجأة!

إيهاب يهبط من العمارة المقيم بها في نفس توقيت الحادث مسرعًا وعند تكبير الصورة وجد بقعة دماء على قميصه الذي كان يرتديه وبتفريغ كاميرات المقهى الذي توجه إليه في أقواله في المحضر وجد إيهاب يدخل إليه ثم لفت انتباهه بقعة الدماء على القميص فانتفض وقام مسرعًا إلى الحمام ثم عاد بعد دقائق بلا أثر لبقعة الدماء بل لوحظ أثر لماء مكانها!

تم عرض ما توصل إليه رجال البحث الجنائي على السيد وكيل النيابة فقام باستدعاء إيهاب مرة أخرى من محبسه وواجهه بما أسفرت عنه تحريات المباحث فاصفر لونه وأيقن أنه لا بديل عن الاعتراف بالجريمة.

- أيوه أنا اللي قتلتها... قتلتها ولو عاد بيا الزمن هقتلها ألف مرة!

نوال دمرت حياتي وكانت السبب في خراب بيتي وبُعد بنتي عني وطلاق مراتي مني!

أيوه خربت بيتي ولو قدامي دلوقتي هقتلها ألف مرة!

أنا اتعرفت عليها لما كانت سكرتيرة في مكتبي وأغرتني وجذبتني ليها وبعدها اتجوزتها كانت جميلة وما كنتش أعرف إنها شيطان وفي الفترة الأخيرة زادت الخلافات بينا لدرجة إني شكيت فيها، وفي يوم كانت نوال قعدة في أوضتها وانا كنت بره البيت ودخلت من غير ما تحس بيا سمعتها بتتكلم بصوت منخفض اوي بس كان واضح إنها بتكلم حد وبتهدده إنه ما يبعدش عنها وإنها بتحبه تيقنت وقتها خيانة نوال ليا ولما واجهتها اعترفت لي إنها ما كنتش بتحبني وقالتلي إنت مش راجل! ساعتها ما حستش بنفسي وأنا ماسك السكينة وبطعنها في قلبها أيوه قلبها... قلبها اللي خدعتني بيه وخانتني ومن صدمتي لما لقيتها بتنزف وبتموت قدامي مجاش في بالي إني لازم أمسح بصماتي من على السكينة ولما نزلت؛ اكتشفت بقعة الدم فغسلتها.

انتهت اعترافات إيهاب وقبل أن يعود إلى محبسه كان قرار النيابة العامة بإخلاء سبيل كريم وإحالة القضية إلى محكمة الجنايات.

❊❊❊

خرج كريم من محبسه فلم يجد زوجته في المنزل فهاتفها:

- أمل أنا خرجت براءة!
- أنا عند بابا يا كريم ومن فضلك طلقني من غير شوشرة طلقني وخلي ابننا يتربى بينا بدون مشاكل!
- أمل أنا غلطت والكلام مش هينفع في التليفون خلينا نتقابل وأشرحلك كل حاجة.
- ما فيش كلام بينا يا أستاذ من فضلك طلقني بهدوء وخلي ابننا يتربى بهدوء واللا انت عايز ابننا يتربى تحت ضغط عصبي زي ما حصل مع ملك بنت الأستاذ اللي انت خنته مع مراته؟

وأغلقت أمل الهاتف!

أليست هذه نوال التي هدمت منزلًا مستقرًّا وشردت طفلة في الماضي وهي على قيد الحياة، ثم هدمت منزلًا آخر وهي ميتة!

حُدد موعد محاكمة إيهاب، وفي جلسة المحاكمة حضرت ملك ووالدتها حنان وعمرو زوج ملك.

لم تجد ملك ما تدافع به عن والدها بعد اعترافاته والأدلة التي كانت كلها ضده فوقفت عنده في قفص الاتهام في المحكمة هي ووالدتها...

ملك وهي تبكي والدها بشدة:

ليه يا بابا ليه عملت فينا كده؟

نظر إيهاب إلى الأرض ثم رفع وجهه وقال لملك ووالدتها حنان:

سامحيني يا ملك سامحيني يا حنان إنتو كنتوا نعمة كبيرة في حياتي وأنا ما حافظتش عليها إنما إنتي حافظتي عليا وصنتيني وحافظتي على بنتي وربتيها وصنتيها بس أنا اللي ما عرفتش أحافظ عليكو وأصنكو!

- مسامحاك يا إيهاب مسامحاك من أول يوم وأنا مسامحاك!

بكت حنان بشدة مثلما تبكي ملك!

أهذا هو إيهاب!

أهذا هو الشاب المجتهد الطموح! لا، ليس هو، بل نسي نفسه ولهث خلف نزاوته التي جعلته يهدم حياته وحياة أسرته، يجب أن تكون هذه نهايته ويجب أن يدفع ثمن استهتاره وحبه للشيطانة التي انتزعته من زوجته وابنته وكان مصيرها القتل ولكن بعدما طالتهم جميعًا الخسائر!

بدأت محاكمة إيهاب، النيابة تصفه بأبشع الصفات، بالقاتل والكاذب وغيرها وغيرها...!

وتوالت المحاكمة جلسة تلو الأخرى حتى جاء يوم الحكم...

حكمت المحكمة حضوريًّا على إيهاب بالسجن المشدد خمسة عشر عامًا.

وراعت المحكمة في حكمها ظروف القضية وملابساتها، وخيانة نوال لزوجها ونيتها في قتله وهو ما بُني عليه الحكم.

رُفعت الجلسة وتعهدت ملك بالوقوف إلى جوار والدها حتى آخر نفس فيها؛ فظلت تزوره وتحضر له طعامه وملابسه طول فترة حبسه حتى بشرت أباها بحملها...

أنجبت طفلًا جميلًا يشبهها إلى حدٍّ كبير، وأصرت برقتها وسماحة قلبها على أن تسميه "إيهاب".

نعم أسمته "إيهاب" لقلبها الطيب البريء الذي لا يحمل عداوة أو ضغينة لأحد، كوالدتها تمامًا، تشبهها في كل شيء!

تحولت حنان من الأم إلى الجدة؛ تلاعب حفيدها طوال الوقت سعيدة به!

تمت بحمد الله